- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، - د.طه عبد الرحمن ط. المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠، الدار البيضاء، المغرب،
- الفقيه والمتفقه : أحمد بن علي بن ثابت البغدادي / الناشر:دار الكتب العلمية- بيروت- تحقيق: إسماعيل الأنصارى ط ١٤٠٠هـ.
- كليات أبي البقاء الكفوي الحنفي ت سنة ١٠٩٤هـ ،، طبعة حجرية سنة ١٢٨٤هـ / ومؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٢م
- المنقذ من الضلال - للإمام زالى -ط مكتبة الأنجلوا المصرية ١٩٥٥م
- الموفقات للإمام الشاطبي تحقيق: عبد الله دراز ط دار المعرفة . بيروت
- آدب البحث والمناظرة / للشيخ .محمد الأمين الشنقيطى/ ط مطبعة العلم بجدة
- بجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم/ صديق بن حسن القنوجي دار الكتب العلمية - بيروت ، /تحقيق : عبد الجبار زكار / والتعاريف ١٥٨.
- شرح الرشيدية / للشيخ عبد الرشيد الجونغوري الهندي : / مكتبة الإيمان
- آداب المسامرة في البحث والمناظرة تأليف وجمع محمد على سلامة ، دار الطباعة الحديثة.
- الموافقات في أصول الفقه ، للشاطبي ٢٥/١ الناشر : دار المعرفة - بيروت/تحقيق : عبد الله دراز
- أسلوب الحوار في القرآن الكريم : / إدريس أوهنا . الرباط : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٥ .
- حوار إبراهيم. عليه السلام. مع الآخر في القرآن الكريم دراسة منهجية د / علي بهلول علي أحمد أستاذ الفكر بكلية التربية - جامعة الحديدة - اليمن إلي ندوة الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي التي تقيمها كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة
- الزام القرآن للماديين والملين د. سيد أحمد رمضان المسير ١٠٤-١٠٧ ط ١٩٧٩م دار الطباعة المحمدية

عداوة الشيطان لبني الإنسان في ضوء القرآن الكريم

تأليف

د/ خالد بن عبد الله بن مسلم القرشي

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

جامعة أم القرى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، خلق آدم من طين، وجعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وأكرمه على كثير من خلقه.

فأمر ملائكته الطاهرين بالسجود له، إظهاراً لفضله، وإشهاراً لأمره، فحسده على هذا التكريم إبليس اللعين، فأبى أن يكون من الساجدين، فطرده الله سبحانه من رحمته وفضله وأسكن آدم وزوجه جنة النعيم، فبقيا فيها حتى أغواهما إبليس اللعين، فعصيا الله العظيم قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ {٢٤}﴾[1].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم، واهتدى بهداهم إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً .... أما بعد ..

فلقد قص الله تعالى علينا قصة خلق أبينا آدم عليه الصلاة والسلام، وتكريم

[1] سورة الأعراف آية (٢٤).

الله له وحسد إبليس له ولبنيه من بعده، وقصة طرد إبليس من رحمة الله تعالى وفضله. وكيف كانت عداوته لآدم وذريته، وذلك في مواضع كثيرة من كتابه العظيم[2] فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ {١١}﴾[3].

فأبى إبليس اللعين السجود لأبينا آدم، فكان من الكافرين، والذي حمله على معصية الله، والرفض لأمر جبار السموات والأرض، إنما هو الحسد والكبر فكان عاقبته الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى، قال سبحانه: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ {١٣}﴾[4].

أسكن الله آدم وزوجه الجنة يتنعمان بما فيها من النعيم والخير العميم، إلا أنه سبحانه وتعالى نهاهما عن الأكل من شجرة مخصوصة في الجنة ابتلاءً لهما وامتحاناً منه سبحانه، قال سبحانه: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ

[2] سيأتي بيانها ص(١٤-١٥)

[3] سورة الأعراف آية (١١).

[4] سورة الأعراف آية (١٣).

شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذه الشَّـجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ {١٩}﴾[١].

ومن ذلك الحين لم يهدأ عدو الله إبليس عن المحاولة جهده في إغرائهما بالأكل من تلكم الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها فجاءهما من باب الخوف على زوال ما هما فيه من النعمة، والرغبة في الخلود في الجنة، وأن يكونا ملكين وصار يقسم لهما أنه لهما من الناصحين، ولا يريد لهما إلا الخير والمصلحة، قال عز وجل: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذه الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ {٢٠} وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ {٢١}﴾[٢]، فصدق الأبوان فأكلا من الشجرة ﴿فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى {١٢١}﴾[٣]، فعصيا أمر الله تعالى وأطاعا أمر الشيطان، عندها ناداهما ربهما بقوله: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٤].

فاعتبر الأبوان بخطئهما ولم يصرا على معصيتهما، كما أصرّ عدو الله إبليس على معصيته ومخالفته، وتابا إلى الله تعالى، فتاب الله عليهما وعفا عنهما إلا أنه سبحانه أهبطهما إلى الأرض، كما أنه أهبط إبليس أيضا، لكنه سبحانه أهبط الأبوين مغفوراً لهما، وأهبط إبليس ملعوناً مطروداً من رحمة الله، محروماً من الجنة وما فيها من نعيم مقيم.

ومن ذلك الحين أقسم إبليس على إضلال بني الإنسان، ومحاولة إخراجهم من رحمة الله تعالى إلى غضبه وسخطه، والسعي في حرمانهم من الجنة، وجعلهم من أهل النار، قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {٨٢} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {٨٣}﴾[٥] وقوله: ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ﴾[٦].

---

(١) سورة الأعراف آية (١٩).

(٢) سورة الأعراف آية (٢٠-٢١).

(٣) سورة طه آية (١٢١).

(٤) سورة الأعراف آية (٢٢).

(٥) سورة ص آية (٨١-٨٣)

(٦) سورة النساء آية (١١٩).

وقد بين الله تعالى لنا عداوة الشيطان لبني الإنسان، وأمرنا أن نتخذه عدوّا، لأنه يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب النار وبئس المصير، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ {٦}﴾[١].

فلا يكفي أن نؤمن بعداوة الشيطان لنا إيماناً نظرياً، ولكن علينا معاشر المؤمنين أن نُتبع هذا الإيمان النظري بخطوة عملية، متمثلة في اتخاذه عدوا وذلك بالحذر من وسوسته وخطواته، وبعدم طاعته في أمره ونهيه، فهو إنما يأمر بالفحشاء والشر، وينهى عن كل خير، ويسعى جاهدا لإضلال من يستطيع من بني الإنسان حتى يكونوا معه في العذاب الشديد، نعوذ بالله من ذلك ؛ .

فالشيطان عليه لعنة الله، عدو لنا، كما كان عدواً لأبوينا، وهو يريد إخراج بني آدم من رحمة الله تعالى، وإدخالهم في نار جهنم، محاولاً ما استطاع إلى ذلك سبيلا قال الله تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ{٢٧}﴾[٢].

لذلك رأيت الكتابة عن موضوع [عداوة الشيطان لبني الإنسان في ضوء القرآن الكريم] مستهدفاً من هذا البحث، المساهمة في كشف هذه العداوة وطريقة الشيطان في ذلك، والفوائد المستفادة من معرفة ذلك.

واحتوى هذا البحث على مقدمة، وستة مباحث ، وخاتمة .

أسأل الله تعالى التوفيق فيما كتبته وسطرته وما توصلت إليه، فما كان صواباً، فمن الله وحده، وله الحمد والشكر، وما أخطأت فيه، فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

د/ خالد بن عبد الله بن مسلم القرشي
الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى

---

(١) سورة فاطر آية (٦).

(٢) سورة الأعراف آية (٢٧).

المبحث الأول
التعريف بالشيطان ، وسبب تسميته بذلك :

كلمة شيطان على وزن فيعال، من شطن أي تباعد وأبعد عن الخير وعن رحمة الله عز وجل، وهذا على أن النون في شيطان أصلية.

وقيل: إن شيطان على وزن فعلان، من شاط، بمعنى احترق أو هاج أو بطل، وهذا على أن النون في شيطان زائدة[١] .

وأكثر العلماء يرجحون أن الشيطان مشتق من شطن، وقد رجّح ذلك القرطبي إذ يقول: " ويرد على هذه الفرقة[٢] أن سيبويه حكى أن العرب تقول: تشيطن فلان إذا فعل أفعال الشياطين، فهذا بين أنه تفعيل من شطن، ولو كان من شاط، لقالوا: تشيَّط ويرد عليهم أيضاً بيت أمية بن أبي الصلت:

أيُما شاطنٍ عَصاه عَكاه .. ورمَاه في السجن والأغلال

فهذا شاطن من شطن لا شك فيه"[٣].

وفي تسمية الشيطان بذلك قولان :

أحدهما : أنه سمي شيطانا، لبعده عن الخير.

والثاني : لبعد غوره في الشر[٤].

ولا مانع من أن يكون سمي بهذا الاسم ، لكلا السببين معاً .

فالشيطان اسم لكل عات متمرد مفسد من الجن والإنس والدواب، ولكنه عند الإطلاق لا يراد به غير إبليس اللّعين، وكلمة إبليس تلتقي مع كلمة شيطان في المعنى والمراد، وكأنها مرادفة لها، فإبليس إما همزته أصلية على وزن فعليل، على اعتبار أنه اسم أعجمي، من لغة غير عربية، ولذا لا ينصرف للعُجْمية والعلمية، وإما أن همزته مزيدة، ووزنه افعيل على اعتبار أنه اسم عربي مشتق من الإبلاس وهو البعد من الخير واليأس من الرحمة[٥].

وأكثر العلماء على أنه مشتق من أبلس، ويستفاد من كلام ابن منظور ترجيح ذلك إذ يقول: " أبلس الرجل قطع به، وأبلس سكت وأبلس عن رحمة الله أي يئس وندم ومنه سمي إبليس، وكان اسمه عزازيل، وفي التنزيل : (ويوم تقوم

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٩٠).

(٢) أي التي قالت أن شيطان مأخوذ من شاط.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ،جـ١، ص(٩٠)، ط دار الكتاب العربي.

(٤) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم ص (٣٧٥)

(٥) انظر التحرير والتنوير (١/٤٢٤).

الساعة يبلس المجرمون) [١] وإبليس لعنه الله مشتق منه، لأنه أبلس من رحمة الله أي أُيِسَ "[٢].

وليس أدل على كون إبليس هو الشيطان أبو الجن، من إخبار الله عز وجل عن تسخيره الجن لنبيه سليمان عليه الصلاة والسلام، وإطلاق اسم الجن عليهم مرّة وإطلاق اسم الشيطان عليهم مرّة أخرى، قال الله جل ثناؤه: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ {١٧}﴾[٣] ويقول سبحانه: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ {٣٩}﴾[٤] وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[٥] وقال عز وجل: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[٦].

كما أخبر سبحانه وتعالى عن الجن المسخرين لسليمان بأنهم شياطين، مما يدل على إطلاق الإسمين على مسمّى واحد، فيقول عز من قائل: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ {٨٢}﴾[٧] وقوله تعالى: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ {٣٧} وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ {٣٨}﴾[٨] أي وسخرنا له الشياطين، وما سخرت لأحد قبله وكل بنّاء بدل من الشياطين، أي كل بنّاء منهم، فهم يبنون له ما يشاء، قال يحيي بن سلاّم ــ رحمه الله ــ:"ولم يكن يفعل ذلك إلا بكفارهم،فإذا آمنوا أطلقهم ولم يسخرهم"[٩].

قال أبو عمر بن عبد البر ــ رحمه الله ــ: "الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان مترلون على مراتب، فإذا ذكروا الجن خالصاً، قالوا: جني، فإن أرادوا أنه ممكن أن يسكن مع الناس، قالوا: عامر، والجمع عمّار، فإن كان ممن يعرض للصبيان، قالوا أرواح، فإن خبث وتعزم، فهو شيطان، فإن زاد على ذلك، فهو مارد، فإن زاد على ذلك وقوي أمره، قالوا عفريت والجمع عفاريت ... "[١٠].

* *

---

(١) سورة الروم آية (١٢)

(٢) لسان العرب (٦/٢٩) طبعة دار الفكر.

(٣) سورة النمل آية (١٧).

(٤) سورة النمل آية (٣٩).

(٥) سورة سبأ آية (١٢).

(٦) سورة سبأ آية (١٤).

(٧) سورة الأنبياء آية (٨٢).

(٨) سورة ص آية (٣٧-٣٨).

(٩) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٥، ص(٢٠٦).

(١٠) آكام المرجان في أحكام الجان للقاضي بدر الدين بن عبد الله الشبلي، ص(٢٥)، تحقيق إبراهيم محمد الجمل، طبعة مكتبة القرآن.

المبحث الثاني
أصـــل إبليس وحقيقته

إبليس لم يكن من الملائكة، وإنما هو من الجن، كما هو مبين وواضح في قول الله تعالى: (إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه)[١] والسياق القرآني ذكره من ضمن الملائكة، لا لأنه واحد منهم، وإنما لأنه كان حاضراً معهم في ذلك الموقف الذي أمرهم الله فيه بالسجود لأدم عليه السلام، فتلقى الأمر كما تلقته الملائكة، كما في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا {٥٠}..﴾[٢]. والاستثناء هنا بـ (إلا) في قوله تعالى: (فسجدوا إلا إبليس) ليس معناه أن إبليس واحد من الملائكة، وإنما هذا الاستثناء ـــ استثناء منقطعاً ـــ كما يقول النحويون، فهو بمعنى [ولكن] فيكون المعنى: فسجد الملائكة، ولكن إبليس لم يكن من الساجدين[٣].

وإبليس اسم للشيطان الأول، الذي هو والد الشياطين والجن، فهو لنوع الشياطين والجن، بمنزلة آدم لنوع الإنسان[٤].

ومما سبق فإن كلمة الجن تلتقي وترادف كلمتي الشيطان وإبليس، ولعل ما يقرر ذلك ويؤكده، ما ينبئ عنه، أصل اشتقاق كلمة الجن ومعناها.

فالجن مأخوذ من جَنَ الشئ يَجْنِه جَناً ، أي ستره، وكل شئ ستر عنك، فقد جَنَّ عنك، وبه سمي الجن لاستارهم واختفائهم عن الأبصار، يقول ابن عقيل : " إنما سمي الجن جنا، لاستجنانهم واستتارهم عن العيون، ومنه سمي الجنين جنينا، والجنة للحرب جنة، لسترها، والمِجَن مجنا لستره للمقاتل في الحرب، وليس يلزم بأن يُنتقص هذا بالملائكة، لأن الأسماء المشتقة، لا تناقص ألا ترى الخابئة سميت بذلك لاشتقاقها من الخبئ، وأنه يخبأ فيها، ولا يقال : يبطل بالصندوق، فإنه يخبأ فيه ولا يسمى صندوقا، والشياطين العصاة من الجن وهم ولد إبليس، والمردة أعتاهم وأغواهم، وهم

---

(١) سورة الكهف آية (٥٠)

(٢) سورة الكهف آية (٥٠)

(٣) انظر دراسات قرآنية للأستاذ محمد قطب ص(١١٢).

(٤) انظر التحرير والتنوير (٤٢٤/١)

أعوان إبليس يُنَفِّذون بين يديه في الإغواء، كأعوان الشياطين .. "[١].

وإبليس هو الشيطان الرجيم، وقد خلقه الله تعالى من النار، ثم خلق منه نسله الجن، والجن جسم لطيف ناري، قادر على التشكل في صور مختلفة، وآيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم: تدل على ذلك، قال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ {٢٧}﴾[٢] وقال سبحانه: ﴿الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ {١٥}﴾[٣] وقال تعالى حكاية عن إبليس قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[٤].

قال القاضي الشبلي : " اعلم أن الله تعالى أضاف الشياطين والجن إلى النار حسب ما أضاف الإنسان إلى التراب والطين والفخار، والمراد به في حق الإنسان أن أصله الطين وليس الآدمي طينا حقيقة، لكنه كان طينا، كذلك الجان كان نارا في الأصل، وهذا ما أثبته نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث قال:لا { خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم}[٥].

وقد تقرر وثبت في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وجود الجن والشياطين، وتبيَّن أنه بالإرادة عاقل مأمور ومنهي، كأصناف البشر، فللجن والشياطين ما للبشر، وعليهم ما على البشر، ومن ثم لا يجوز لأحد ـــ يؤمن بالله تعالى ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر ـــ إنكار وجود الجن والشياطين، فمن أنكر وجحد وجودهم، بعد علمه بالنصوص التي وردت فيهم، فقد كذب وكفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم[٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فهم مقرّون بهم، كإقرار المسلمين وإن وجد فيهم من ينكر ذلك، فكما يوجد في بعض طوائف المسلمين، كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرّون بذلك، وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار

---

(١) آكام المرجان في أحكام الجان ص(٢٣-٢٤)

(٢) سورة الحجر آية (٢٧).

(٣) سورة الرحمن آية (١٥).

(٤) سورة الأعراف آية (١٢).

(٥) رواه مسلم في كتاب (٥٣) باب (١٠) حديث رقم (٢٩٩٦)، ورواه أحمد في مسنده (١٦٨/٦).

(٦) آكام المرجان في أحكام الجان ص(٢١).

الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ تواتراً معلوماً بالاضطرار، ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء، فاعلون بالإرادة، مأمورون منهيون، ليسوا صفات وأعراض قائمة بالإنسان أو غيره، كما يزعمه بعض الملاحدة، فلما كان أمر الجن متواتراً عن الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ تواتراً ظاهراً، يعرفه العامة والخاصة، لم يمكن لطائفة من طوائف المؤمنين بالرسل أن ينكرهم" [1].

وقال ابن حزم رحمه الله : " لم ندرك بالحواس، ولا علمنا وجوب كونهم، ولا وجوب امتناع كونهم في العالم بضرورة العقل، لكن علمنا بضرورة العقل، إمكان كونهم، لأن قدرة الله تعالى لا نهاية لها، وهو عز وجل يخلق ما يشاء، ولا فرق بين أن يخلق خلقاً عنصرهم التراب والماء، فيسكنهم الأرض والهواء والماء، وبين أن يخلق خلقاً ، عنصرهم النار والهواء، فيسكنهم الهواء والنار والأرض، بل كل ذلك سواء وممكن في قدرته، لكن لما أخبرت الرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ الذين شهد الله تعالى بصدقهم ، بما أبدى على أيديهم من المعجزات المحيلة للطبائع ــ بنص الله عز وجل على وجود الجن في العالم، وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم،وقد جاء النص بذلك وبأنهم أمة عاقلة،مميزة، متعبدة،موعودة متوعدة، متناسلة يموتون وأجمع المسلمون على ذلك..نعم،والنصارى والمجوس والصابئون وأكثر اليهود حاشا السامرة"[2].

وفي ذلك ما يؤكد أن الشيطان هو إبليس وهو أبو الجن، وهذا ما تقرره صراحة الآية الكريمة من سورة الكهف، إذ يقول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[3]، فأكثر المفسرين على أن الاستثناء (إلا إبليس) استثناء منقطع، لأن إبليس من الجن، وجنس الجن مغاير لجنس الملائكة، فالجن من النار والملائكة من النور، وقوله تعالى: (كان من الجن) كلام مستأنف، سيق مساق التعليل، لما يفيده استثناء إبليس من الساجدين، كأن قائلاً قال: ماله لم يسجد؟ فقيل: كان من الجن، أي أصله جني، وقوله تعالى: (ففسق عن أمر ربه) لأن الملائكة معصومون، لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس من عصيان الأمر، بل هم كما وصفهم الله عز وجل بقوله تعالى: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {٢٧}﴾ [2]، يضاف إلى ذلك أن الله عز وجل قد أثبت أن لإبليس ذريّة بقوله تعالى: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي ﴾ [3]، والملائكة لا ذريّة لهم.

وأيضاً فالمتدبر لآيات القرآن الكريم يظهر له أن أجناس العقلاء ثلاثة لا رابع لهم، وهم الملائكة والجن والإنس، وآيات القرآن الكريم تجعل الجن هم الجنس المقابل للإنس، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ {٢٦} وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ {٢٧}﴾ [4]وقوله تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ {٣٣} ﴾[5]، ويقول سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ {٥٦}﴾ [6]وغير ذلك من الآيات الكريمة التي يفهم منها أن الجن هم الجنس المقابل للإنس .

ومن هنا يظهر ويتبيّن وهن حجّة من قال : إن الشيطان من جنس خاص جبل على المعصية والشر، وليس من الملائكة، ولا من الجن، وكذا يظهر بُعْد رأي من قال: إن إبليس من الملائكة، وكان خازنا على الجنان، ثم مسخه الله تعالى شيطانا لما عصى ربه، فقد استند كل من قال بأحد هذين القولين إلى آثار مروية عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ وهي ضعيفة وواهية، قد نقلها المفسرون بدون ما تحقيق ولا تمحيص، والمتأمل في هذه الآثار، وتلك الروايات، يتبين له تصادمها مع صريح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ويضاف إلى الأدلة المتقدمة في إثبات أن إبليس هو أبو الجن، وأن الجن والشياطين من ذريّته، عصيان إبليس لأمر ربه، وضلاله عن طاعة خالقه سبحانه بعد صلاحه وعبادته، مما يدل على أنه من المكلفين الذين يعتريهم الصلاح والفساد ويطرأ عليهم الشر، كما يطرأ عليهم الخير، وهذا هو شأن الجن، فإن الله عز

---

[1] مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/١٩).

[2] الفصل في الملل والأهواء والنحل (١١١/٥) طبعة شركة مكتبات عكاظ.

[3] سورة الكهف آية (٥٠).

[1] سورة التحريم آية (٦).

[2] سورة الأنبياء آية (٢٧).

[3] سورة الكهف آية (٥٠).

[4] سورة الحجر آية (٢٦-٢٧).

[5] سورة الرحمن آية (٣٣).

[6] سورة الذاريات آية (٥٦).

وجل لما أقام إبليس بين الملائكة، إقامة ارتياض وتخلق، وسخره لاتباع سننهم، فجرى على ذلك السنن أمدا طويلا، لا يعلمه إلا الله ، ثم غلب جانب الشر فيه على جانب الخير فخرج عن طاعة ربه وعصاه حين أُمر بالسجود لآدم، وعلى ذلك صارت ذريته من الجن منهم الفاسق الذي ضلّ وفسق، وسار على نهج أبيه الأول إبليس، ومنهم من صلح وأحسن وغلب عليه جانب الخير، فصار من الصالحين العابدين، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً {١١}﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً {١٤}﴾ [2]. فهذه الآيات تفيد أنه لم يكن كل الجن كفارا، بل كانوا مختلفين، منهم كفار ومنهم مؤمنون.

يقول القرطبي رحمه الله : " واختلف أهل العلم في أصل الجن، فروى إسماعيل عن الحسن البصري : أن الجن ولد إبليس، والإنس ولد آدم، ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون، وهم شركاء في الثواب والعقاب "[3].

وقال الحسن البصري أيضاً: "ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم عليه السلام أصل البشر، رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه"[4].

وبما أن إبليس هو أصل الجن، فمعنى ذلك أن كل الجن ذريته، وكون الجن من ذرية إبليس، لا يحتم أن يكون الجن كلهم أشراراً، بل لا يمتنع أن يكون منهم الصالح والطالح، والخيّر والشرّير، والمهتدي والضال.

"وهذا يدل على أنهم يتناكحون لأجل الذرية، قال القاضي عبد الجبار : الذرية هم الولد والأهل، ورقهم لا تمنع من كان ما يلده لطيفا، ألا ترى أنا قد نرى الحيوان ما لا يتبين ـ للطافته ـ إلا بالتأمل، ولا يمنع ذلك من أن يتوالدوا،إذا كان ما يتوالدونه لطيفاً"[5].

* * *

(١) سورة الجن آية (١١).

(٢) سورة الجن آية (١٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١١،ص(٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣١/٤-٣٢).

(٥) آكام القرآن في أحكام الجان، ص (٦٠).

المبحث الثالث
عمق عداوة الشيطان للإنسان

إن عداوة الشيطان للإنسان قد ظهرت بوادرها، وتأكدت معالمها، من أول يوم لوجود الإنسان الأول آدم عليه السلام .

فبعد أن أبدع الله سبحانه وتعالى، وأكمل خلق آدم عليه السلام، أمر ـ جلّ جلاله ـ الملائكة وإبليس أن يسجدوا له، فامتثلت الملائكة أمر الله تعالى، فنفّذت أمره وسجدت لآدم سجود تكريم وتحيّة، وأما إبليس فعصى أمر ربه، وامتنع عن السجود لآدم عليه الصلاة والسلام، بطرا وأشرا واستكبارا، وقد كرر الله عزّ وجلّ هذا الموقف في القرآن الكريم، ليربّي في قلوب بني آدم العداوة للشيطان الرجيم، فيحذروه ويتجنبوا طريقه، ويبتعدوا عن مسالكه، ولا ينخدعوا بتزيينه ووسوسته، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ {٣٤}﴾ [1] وذكر الله عز وجل هذا الموقف من إبليس في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ {١١} قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ {١٢}﴾ [2]. وفي سورة الحجر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ {٢٨} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ {٢٩} فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ {٣٠} إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ {٣١}﴾ [3] وفي سورة الإسراء قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً {٦١}﴾ [4] وفي سورة الكهف قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا {٥٠} ﴾ [5] وفي سورة طه قال عزّ من قائل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى{١١٦}﴾ [6] وفي سورة ص في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ

(١) سورة البقرة آية (٣٤).

(٢) سورة الأعراف آية (١١-١٢).

(٣) سورة الحجر آية (٢٨-٣١).

(٤) سورة الإسراء آية (٦١).

(٥) سورة الكهف آية (٥٠).

(٦) سورة طه آية (١١٦)

{٧١} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ {٧٢} فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ {٧٣} إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ {٧٤} قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ {٧٥} قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ {٧٦}﴾[1].

وتنفرد سورة إبراهيم بذكر موقف الشيطان يوم القيامة من بني آدم الذين استجابوا له في الدنيا، وتنصله الكامل من تبعتهم، قال الله تعالى في ذلك: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {٢٢}﴾[2].

ويتبين من خلال الآيات الكريمة السابقة في تلك السور القرآنية، امتناع وإباء إبليس السجود لآدم من بين سائر الملائكة، وفي هذا إظهار ما للنفوس الشريرة الخبيثة من مساوئ، وما تنطوي عليه من حسد وبغضاء تحجبها عن كل نور، وتصدها عن كل رشاد وخير، وجملة (أبى واستكبر وكان من الكافرين)[3] استئناف بياني يشير إلى أن مخالفة حال إبليس لحال الملائكة في السجود لآدم، شأنه أن يثير ثلاثة أسئلة في نفس السامع:

السؤال الأول: لِمَ لم يفعل إبليس ما أمر به ؟

السؤال الثاني: كيف خالف حاله حال جماعته ؟

السؤال الثالث: ما سبب ذلك ؟

لأن مخالفة إبليس لحال الملائكة أمر عجيب وشأن غريب.

وقد بيّن الله عز وجل في كتابه الكريم، السبب في امتناع إبليس عن السجود لآدم بقوله سبحانه: (أبى واستكبر وكان من الكافرين) وكان في قوله: (وكان من الكافرين) لا تفيد أن إبليس اتصف بالكفر قبل الأمر بالسجود، لأن وقت الأمر بالسجود لم يكن هناك من يوصف بالكفر، ولكن المعنى أنه صار كافرا بعدم السجود، لأن امتناعه نشأ عن استكباره على الله سبحانه، واعتقاده أن ما أمر به غير جار على وجه الحكمة والمصلحة، فالانقلاب والارتكاس الذي

(١) سورة ص آية (٧١-٧٦).

(٢) سورة إبراهيم آية (٢٢).

(٣) سورة البقرة آية (٣٤).

عرض له في جبلته، كان سببه استخفافه بحكمة الله عزّ وجلّ، فلذلك صار كافرا كفرا صريحاً[1]، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ {١١} قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ {١٢} قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ {١٣}﴾[2].

"ومعنى هذا أنه استخدم طريق المقايسة بينه وبين آدم، فرأى نفسه أشرف من آدم، فامتنع من السجود له مع وجود الأمر له ولسائر الملائكة بالسجود، والقياس إذا كان مقابلا بالنص، كان فاسد الاعتبار، ثم هو فاسد في نفسه، فإن الطين أنفع وخير من النار، فإن الطين فيه الرزانة والحلم والأناة والنمو، والنار فيها الطيش والخفة والسرعة والإحراق.

ثم آدم شرفه الله بخلقه له بيده، ونفخه فيه من روحه، ولهذا أمر الملائكة بالسجود له، فلما امتنع إبليس عن تنفيذ أمر ربه، واستكبر على طاعة خالقه، استحق اللعن والطرد من رحمته تعالى، لأنه استلزم بانتقاصه لآدم، وازدرائه له، وترفعه عليه مخالفة الأمر الإلهي ومعاندة الحق في النص على آدم على التعيين، وشرع في الاعتذار بما لا يجدي شيئا، وكان اعتذاره أشد من ذنبه"[3].

وبين الله تعالى هذا الموقف من إبليس لآدم عليه السلام في موضع آخر من كتابه الكريم، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ {٢٨} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ {٢٩} فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ {٣٠} إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ {٣١} قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ {٣٢} قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ {٣٣} قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ {٣٤} وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ {٣٥}﴾[4]، وتعتبر شبهة إبليس ـ عليه لعنة الله ـ أول شبهة حدثت في الخلق لاعتزازه برأيه في مقابلة النص الصريح له بالسجود، واختياره الهوى في معارضة ما

(١) انظر التحرير والتنوير (١/٢٢٤-٢٢٦).

(٢) سورة الأعراف آية (١١-١٣).

(٣) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (١-٦٦) بتصرف يسير.

(٤) سورة الحجر آية (٢٨-٣٥).

أمر به، واستكباره بالمادة التي خلق منها، وهي النار، على المادة التي خلق منها آدم وهي الطين.

ولما كان امتناع إبليس عن السجود لآدم، إعلاناً منه لما يُكنُّه من حسد وبغضاء وخصومة لآدم، حذّر الله عز وجل آدم منه، لكي يأخذ حذره من مكره ووسوسته وخديعته، وتزيينه، فقال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى {١١٧}﴾ [1].

وأمر الله عز وجل آدم وزوجه بلزوم الجنة والسكن والإقامة فيها، وأباح لهم الأكل من ثمارها وكل ما تحتويه من نعم وخيرات، ولكنه لما نهاه عن الأكل من شجرة من أشجارها، خالف هو إليها، وعصى في الأكل منها، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ {٣٥} فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ {٣٦}﴾ [2].

وقد كرر الله عز وجل ذلك أيضاً في سورة الأعراف فقال تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ {١٩} فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ {٢٠} وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ {٢١} فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ {٢٢}﴾ [3] وفي سورة طه قال سبحانه: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى {١١٧} إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى {١١٨} وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى {١١٩} فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى {١٢٠} فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى {١٢١} ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى {١٢٢}﴾ [1].

ولكن العداوة التي استقرت في نفس إبليس وقلبه، جعلته ينصب شباكه، ويستعمل حيله ومكائده، في توهين عزيمة آدم، فأخذ يسول له ويزين، حتى أوقع آدم عليه السلام في معصية الله سبحانه وتعالى، مع أن الله عز وجل قد نهى آدم أبلغ نهي وآكده فنهاه عن قربان الشجرة، أي عن قصد الأكل منها، ليكون ذلك أبلغ في النهي عن مباشرة الأكل نفسه، لأن القرب من الشئ، ينشئ داعية وسبيلا إليه، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ثم قرن الله ـ عزّ وجلّ ـ نهيه بالوعيد والتخويف بقوله تعالى: (فتكونا من الظالمين)، ومع ذلك، فلم يصمد آدم عليه الصلاة والسلام وزوجه حواء أمام تلبيس الشيطان وخداعه وتمويهه، فقد ألقى في نفسهما الشر، ودخل عليهما من باب ما يحبانه، ويشتهيانه، "فشامَّ عدو الله الأبوين، فأحسَّ منهما إيثارا وركونا إلى الخلد في تلك الدار في النعيم المقيم، وأقسم وحلف لهما أنه لمن الناصحين لهما (وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين).

فتضمن هذا الخبر أنواعاً من التأكيد:

أحدهما: تأكيدٌ بالقسم.

الثاني: تأكيدٌ بأن.

الثالث: تقديم المعمول على العامل إيذاناً بالاختصاص، أي نصيحتي مختصة بكما وفائدتها إليكما لا إليّ.

الرابع: إتيانه باسم الفاعل الدال على الثبوت واللزوم، دون الفعل الدال على التجدد أي أن النصح صفتي وسجيّتي، ليس عارضاً لي.

الخامس: إتيانه بلام التأكيد في جواب القسم.

السادس: أنه صور نفسه لهما ناصحاً من جملة الناصحين.

فكأنه قال لهما: الناصحون لكما في ذلك كثير، وأنا واحد منهم، كما تقول لمن تأمره بشئ، كل أحد معي على هذا، وأنا من جملة من يشير عليك به"[2].

وقد ذكر الله عز وجل في بيان ما خدع به إبليس آدم، وما مكر به عليه أمرين:

١ـ (فأزلهما)

٢ـ (فوسوس)

---

(١) سورة طه آية (١١٧).

(٢) سورة البقرة آية (٣٥-٣٦).

(٣) سورة الأعراف آية (١٩-٢٢).

(١) سورة طه آية (١١٧-١٢٢).

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/١١٢-١١٤) بتصرف.

ومعنى " الإزلال، جعل الغير زالاً، أي قائماً به الزلل، وهو كالزَّلق بأن تسير الرجلان على الأرض بدون اختيار، لارتخاء الأرض بطين ونحوه، أي ذاهبة رجلاه بدون إرادة، وهو مجاز مشهور في صدور الخطيئة والغلط المضر، ومنه سمي العصيان ونحوه الزلل"[١].

"والوسوسة إنما هي إدخالهما في الزَّلل بالمعصية، وليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان، إنما قدرته على إدخاله في الزلل،فيكون ذلك سبباً إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبه"[٢].

وهذا ما يدلنا على أنه ليس للشيطان استطاعة على آدم ولا سلطان، وإنما كل أمره معه، أن سوّل له وزيّن، ووسوس حتى أغراه بأمانيه ووعوده الباطلة، وأدخل مكره وتلبيسه على آدم وحواء (فدلاهما بغرور) أي خدلهما وأوقعهما في الهلاك، فلما عصيا بالأكل من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عنها، هتك ستر ما بينهما وبين الله عزّ وجلّ، وانكشفت عورتهما، فأخذ آدم وحواء يقطعان من ورق أشجار الجنة ليستترا به، ثم امتن الله عز وجل عليهما برحمته ومغفرته وتاب عليهما، بعد أن عاتبهما عتاباً رفيقاً خفيفاً، وذكرهما بتحذيره لهما في قوله تعالى: (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين" قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)[٣] فلما اعترفا بالخطيئة وتابا، تاب الله الحكيم الخبير عليهما، ثم أنزلهما من الجنة.

يقول القرطبي رحمه الله: " لم يكن إخراج الله تعالى آدم من الجنة، وإهباطه منها عقوبة له، لأنه أهبطه بعد أن تاب عليه وقَبِل توبته، وإنما أهبطه إما تأديباً وإما تغليظاً للمحنة، والصحيح في إهباطه وسكناه في الأرض، ما قد ظهر من الحكمة الأزلية في ذلك، وهي نشر نسله فيها، ليكلفهم ويمتحنهم، ويترتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الأخروي، إذ الجنة والنار ليستا بدار تكليف، فكانت تلك الأكلة سبب إهباطه من الجنة ولله أن يفعل ما يشاء "[٤].

لقد اقتضى أمر الله عز وجل لآدم وحواء وإبليس بالهبوط والنزول إلى الأرض قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (١/٤٣٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/٣١٢).

(٣) سورة الأعراف آية (٢٢-٢٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١/٣٢٣).

مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ {٣٦}﴾[١] فالخطاب في قوله: (اهبطوا) قال الحسن: آدم وحواء والوسوسة، وقال مجاهد والحسن أيضاً : بنو آدم وبنو إبليس، والأرجح أن الخطاب لآدم وحواء وإبليس، لأن العمدة في العداوة آدم وإبليس[٢]، ولهذا قال تعالى في سورة طه قال: ﴿اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو﴾[٣].

والعبرة المستفادة من الإخبار بما كان بين آدم وإبليس، هي إثارة الغيرة والحسرة في نفوس بني آدم، على ما أصاب أباهم من جراء عدم امتثاله لوصاية الله تعالى وموعظة تنبيه في وجوب الوقوف عند الأمر والنهي، وترغيب في السعي إلى ما يعيدهم إلى الجنة التي كانت لأبيهم، حتى يكونوا أبداً ثائرين لأبيهم، معادين للشيطان ووسوسته مسيئين الظنون بإغرائه وتزيينه.

وأهبط الله عزّ وجلّ إبليس إلى الأرض، مصحوباً باللعنة والطرد من رحمته سبحانه وتعالى، وتوعده ومن تبعه من الجن والإنس بالنار، وبئس القرار (قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جنهم منكم أجمعين)[٤] ونزل آدم وحواء وإبليس إلى الأرض ليمارسا التجربة فيها .

"وفي أحداث المعركة التي تصورها القصة بين الإنسان والشيطان، مذكر دائم بطبيعة المعركة أنها بين عهد الله وغواية الشيطان، بين الإيمان والكفر، بين الحق والباطل، بين الهدى والضلال، والإنسان هو نفسه ميدان المعركة، وهو نفسه الكاسب أو الخاسر فيها، وفي هذا إيحاء دائم له باليقظة، وتوجيه دائم له بأنه جندي في ميدان وأنه هو صاحب الغنيمة أو السلبي في هذا الميدان " [٥].

ولكن الله عزّ وجلّ ، برحمته ولطفه بالإنسان، حذّر آدم ــ كما سبق ــ من إبليس ثم حذّر أبناءه، حتى لا يقعوا فيما وقع فيه أبوهم، فقال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾[٦]ولا سيّما أن إبليس قد توعد بني آدم بالشر والفساد وأقسم ليقعدن لهم بكل طريق وسبيل، لأن اللعين إبليس لما أنظره الله تعالى إلى

---

(١) سورة البقرة آية (٣٦).

(٢) انظر المرجع لسابق (١/٣١٩).

(٣) سورة طه آية (١٢٣).

(٤) سورة الأعراف آية (١٨).

(٥) في ظلال القرآن (١-٦١).

(٦) سورة الأعراف جزء من آية (٢٧).

يوم القيامة، واستوثق من ذلك، أخذ في المعاندة والتمرد كما أخبر الله عنه بقوله سبحانه: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ {١٦} ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ {١٧}﴾ [١] أي كما أضللتني وأهلكتني، لأقعدن لعبادك الذين تخلقهم من ذرية هذا الذي أبعدتني بسببه عن طريق الحق وسبيل النجاة ولأضلنهم عنها لئلا يعبدوك ويوحدوك بسبب إضلالك إياي" [٢].

قال ابن القيم رحمه الله: " السُّبل التي يسلكها الإنسان أربعة لا غير، فإنه تارة يأخذ على جهة يمينه، وتارة على شماله، وتارة أمامه، وتارة يرجع خلفه، فأيُّ سبيل سلكها من هذه، وجد الشيطان عليها رصداً له، فإن سلكها في طاعة، وجده عليها يثبِّطه عنها ويقطعه، أو يعوقه ويبطِّئه ، وإن سلكها لمعصية، وجده عليها حاملاً له وخادماً ومعيناً وممنياً، ولو اتفق له الهبوط إلى أسفل لأتاه من هناك " [٣].

ولقد أبعد الشيطان وزاد في غلوه وإنذاراته لبني آدم، فتوعدهم ليأتينهم بالترغ والإغراء والوسوسة، من جهة آخرهم يشككهم فيها، ومن جهة دنياهم يرغبهم فيها ومن جهة دينهم يشبه عليهم، ومن جهة شهواتهم يزينها لهم، وأعلن أنه لن يألوا جهداً أو استطاعة، في الاحتيال على بني آدم، وأنه لن يدع في آدمي ثغرة إلا نفذ إليه منها.

فنسأل الله العافية والسلامة والاستقامة ؛؛

* * *

(١) سورة الأعراف آية (١٦-١٧).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢/٤٤٤-٤٤٥).

(٣) إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان (١/١٠٤).

المبحث الرابع
حقيقة الصراع بين إبليس وبين بني الإنسان

ومما سبق بيانه من أن إبليس هو أبو الجن ، وأنهم ينقسمون إلى فريقين، فريق في الجنة، وهم صالحو الجن ومسلموهم، وفريق في السعير، وهم الطالحون والقاسطون منهم، كما أخبرنا الله سبحانه بقوله :﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً {١٤} وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً {١٥}﴾ [١] فمن سار من الجن على نهج أبيهم إبليس، جنَّدهم لعداوة بني الإنسان، ومحاربتهم بكل الوسائل التي تتاح لهم، وبكل الأساليب الممكنة في ذلك، فيسلطهم لتزيين الشر والفساد لبني الإنسان، ويسوِّلون لهم الرذيلة، لكي يفسدوا عليهم حياتهم، فما من عداوة تقوم بين بني آدم، أو فساد أو أي مظهر من مظاهر الشر والرذيلة، إلا وهو من إضلال الشيطان وأعوانه، وقد حذَّر الله تعالى بني الإنسان منهم أشد التحذير، حيث قال عزّ وجلّ في كتابه الكريم: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء من دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾ [٢].

ذرية إبليس هم قبيله وجنوده الذين ساروا على نهجه واقتفوا أثره، ولكن الله تعالى شأنه قال لإبليس متحدِّيا له: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً {٦٤}﴾ [٣] أي استزل واستخف من تقدر عليه منهم بوسوستك، وبكل داع يدعو إلى معصية الله تعالى وأجمع عليهم بكل ما تقدر عليه، من مكايدك وحيلك، وبكل راكب وماش في معصية الله تعالى، واجعل لنفسك شركة في أموالهم وأولادهم، ومَنِّهم بالأماني الكاذبة، وكل ما تعدهم به ، ما هو إلا باطل [٤].

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة : " إن له خيلاً ورَجلاً من الجن والإنس" [٥] وفي صحيح مسلم ورد ما يبيِّن أن لإبليس جنودا أو ذرية، يعاونونه على إغراء بني الإنسان وبث سموم الشر والفساد بينهم، فقد روى مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله

(١) سورة الجن آية (١٤-١٥).

(٢) سورة الكهف آية (٥٠).

(٣) سورة الإسراء آية (٦٤).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/٢٨٨-٢٨٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٢٨٩).

صلى الله عليه وسلم: {إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة، أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئا، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، قال: فيدنيه ــ أو قال ــ فيلتزمه ويقول: نعم أنت}[1]، وروى مسلم أيضا بسنده عن عروة بن الزبير رضى الله عنه، أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج من عندها ليلا، قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال: {مالك يا عائشة أغرت ؟ فقلت: ومالي لا يغار مثلي على مثلك، فقال: أو قد جاءك شيطانك؟ قلت: يا رسول ا لله أومعي شيطان. قال: نعم قلت: ومع كل إنسان؟ قال: نعم، قلت: ومعك يا رسول ا لله ؟ قال: نعم ولكن ربي عز وجل أعانني عليه حتى أسلم ــ وفي رواية ــ أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير}[2].

قال النووي رحمه الله: " فأسلم برفع الميم وفتحها، وهما روايتان مشهورتان فمن رفع، قال: معناه أسلم أنا من شرّه وفتنته. ومن فتح، قال: إن القرين أسلم ــ من الإسلام ــ وصار مؤمناً لا يأمرني إلاّ بخير، واختلفوا في الأرجح منهما، فقال الخطابي: الصحيح المختار الرفع، ورجّح القاضي عياض الفتح، وهو المختار، لقوله صلى الله عليه وسلم: {فلا يأمرني إلاّ بخير}، واختلفوا على رواية الفتح، قيل : أسلم بمعنى استسلم وانقاد، وقد جاء هكذا في غير صحيح مسلم: (فاستسلم)، وقيل معناه: صار مسلماً مؤمناً، وهذا هو الظاهر، قال القاضي عياض: واعلم أن الأمّة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه، وفي هذا الحديث إشارة إلى التّحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه، فأعلمنا بأنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان"[3].

قال الخطابي: "عامة الرواة يقولون: فأسلم، على مذهب الفعل الماضي، إلا سفيان بن عيينة، فإنه يقول: فأسلم من شره، وكان يقول الشيطان لا يسلم "[4].

قال الشيخ ابن الجوزي : "وقول ابن عيينة حسن، وهو يظهر أثر المجاهدة لمخالفة الشيطان، إلا أن حديث ابن

---

[1] رواه مسلم في كتاب صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان، حديث رقم (٢٨١٣).

[2] المرجع السابق، حديث رقم (٢٨١٥).

[3] شرح النووي على صحيح مسلم (١٦١/٩).

[4] تلبيس إبليس لابن الجوزي ص(٤٣).

مسعود كأنه يرد قول ابن عيينة ..... عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن ابن مسعود يرفعه : {ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا: وإياك يا رسول ا لله ؟ قال: وإياي ولكن الله عز وجل أعانني عليه، فلا يأمرني إلا بحق ــ وفي رواية ــ فلا يأمرني إلا بخير } قال الشيخ ابن الجوزي: انفرد به مسلم ــ واسم أبي الجعد رافع ــ وظاهره إسلام الشياطين، ويحتمل القول الآخر" [1].

ولأجل ذلك حذّرنا الله عزّ وجلّ، وخوّفنا من عداوة إبليس وذريته الشياطين وصرّح باسم إبليس إحدى عشرة مرّة، وباسم الشيطان ثمان وثمانين مرّة في القرآن الكريم [2]، ونعته النعوت التي ترعب بني الإنسان من عداوته، وتجعلهم على يقظة دائمة وحذر مستمر، وانتباه تام، لما يبثه في نفوسهم من وساوس، وتزيين ــ أي تحسين ما ليس بحسن، بعضه أو كله ــ فدور إبليس ، تصوير الأعمال السيئة بصورة حسنة، ليقدم بنو الإنسان عليها بشره شديد.

ولأجل ذلك، فإن الله تعالى بين لنا هدف الشيطان وتخطيطه لبني الإنسان، لنحذره، ونتخذه عدوا، ونحتاط منه، فقال سبحانه وتعالى حكاية عن إبليس اللعين قوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {٣٩}﴾[3] وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا {٦٢}﴾[4]. ومعنى لأحتنكنّ أي لاستأصلنّ ذريته بالإغراء والإضلال ولأجتاحنّهم إلاّ المعصومين الذين ذكرهم الله تعالى بقوله: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان)[5]، فالشيطان مترصّد متربّص ببني الإنسان من كل ناحية، وسالك كل طريق لإغرائهم وإضلالهم، ولذلك نبه الله تعالى الإنسان و حذره من عداوة الشيطان ومكايده ووسائل خداعه وتمويهه بكل أنواع التحذير، وبجميع أساليب التخويف، حتى يستيقظ الإنسان وينتبه للشيطان، ويتخذه عدوا لدودا، وخصما عنيدا، فيأمن من مكره وحيله وشره.

---

[1] المرجع السابق ص(٤٣-٤٤).

[2] انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

[3] سورة الحجر آية (٣٩).

[4] سورة الإسراء آية (٦٢).

[5] انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٨٧/١٠).

وقد أعلن الله تعالى عن عداوة الشيطان للإنسان في مواضع كثيرة جداً في القرآن العظيم، لكي نكون في يقظة مستمرة ودائمة من عدونا اللدود، الشيطان الرجيم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ {٦}﴾[1] وقال عز وجل: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ {٦٠}﴾[2] وقال تعالى: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[3] وقال جل ذكره: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾[4]، ومن تأمل وتدبر القرآن الكريم، يجد العناية التامة والبالغة بذكر الشيطان والتحذير من كيده وتزيينه، وما ذلك إلا لتجاوزه كل حد في الفساد والإضلال والغواية، ولعداوته المستمرة المتوقدة التي لا تضعف أبداً بالنسبة لبني الإنسان.

ولهذا بين الله تعالى لعباده عداوة الشيطان لهم بقوله تعالى: (إنه لكم عدو مبين) "وإنما كان عدوا، لأن عنصر خلقته مخالف لعنصر خلقة الإنسان، فاتصاله بالإنسان يؤثر خلاف ما يلائمه، وقد كثر في القرآن تمثيل الشيطان في صورة العدو المتربص بنا الدوائر، لإثارة داعية مخالفته في نفوسنا، كي لا نفتر حين نجد الخواطر الشريرة في أنفسنا، فنظنها ما نشأت فينا إلا وهي نافعة لنا، لأنها تولدت من نفوسنا ...".

ومعنى المبين أي الظاهر العداوة، من أبان الذي هو بمعنى بان، وليس من أبان الذي همزته للتعدية بمعنى أظهر، لأن الشيطان لا يظهر لنا العداوة، بل يلبس لنا وسوسته في لباس النصيحة، أو جلب الملائم، ولذلك سماه الله وليا، فقال سبحانه: (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا)، إلا أن الله فضحه فلم يبق مسلم تروج عليه تلبيساته حتى في حال اتباعه لخطواته، فهو يعلم أنها وساوسه المضرة، إلا أنه تغلبه شهوته وضعف عزيمته ورقة ديانته"[5].

ومن ثم فقد بين الله تعالى لنا في ثلاثة مواضع في كتابه الكريم، أن الشيطان لا

---

[1] سورة فاطر آية (٦).

[2] سورة يس آية (٦٠).

[3] سورة النور آية (٢١).

[4] سورة البقرة آية (٢٦٨).

[5] تفسير التحرير والتنوير (١٠٤/٢).

تنفع معه مصانعة ولا مجاملة ولا إحسان، ولا يستطيع الإنسان أن يدفعه عن نفسه إلا بالتحصن والالتجاء إلى الله تعالى القوي القاهر، مع أنه يأمرنا بمصانعة العدو الإنسي ومقابلة إساءته بالإحسان والعفو والصفح، لأن ذلك قد يجعله صديقا حميما، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ {١٩٩} وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {٢٠٠}﴾[1].

" فبيَّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة، ما ينبغي أن يعامل به الجهلة من شياطين الإنس والجن، فبيَّن أن شيطان الإنس يعامل باللين، وأخذ العفو والإعراض عن جهله وإساءته، وأن شيطان الجن لا منجى منه إلا بالاستعاذة بالله منه، قال في الأول: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وقال في الثاني: (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم).

وبيَّن ــ هذا الذي ذكرنا ــ في موضعين آخرين : ــ

أحدهما: في سورة " المؤمنون " قال فيه، في شيطان الإنس: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ {٩٦}﴾ وقال في الآخر: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ {٩٧} وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ {٩٨}﴾[2].

والثاني : في "حم السجدة" قال فيه، في شيطان الإنس: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[3] وزاد هنا، أن ذلك لا يعطاه كل الناس، بل لا يعطيه الله إلا لذي الحظ الكبير، والبخت العظيم عنده، فقال: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ {٣٥}﴾[4]، ثم قال في شيطان الجن: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {٣٦}﴾[5]"[6].

وفي الأمر بالاستعاذة بالله تعالى من الشيطان فائدتان : ــ

أولاهما: أن الاستعاذة بالله تعالى منجاة للمتقين من نزغ الشيطان الرجيم.

---

[1] سورة الأعراف آية (١٩٩-٢٠٠).

[2] سورة المؤمنون آية (٩٦-٩٨).

[3] سورة فصلت آية (٣٤).

[4] سورة فصلت آية (٣٥).

[5] سورة فصلت آية (٣٦).

[6] أضواء البيان (٣١٤/٢-٣٤٢).

والثانية: أن في الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان تذكيراً بالواجب على المتقين وهو مجاهدة الشيطان والتيقظ لكيده ووسوسته، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ {٢٠١}﴾ [1].

* * *

[1] سورة الأعراف آية (٢٠١).

المبحث الخامس
مراتب عداوة الشيطان لبني الإنسان

تتمثل عداوة الشيطان لبني الإنسان في سبع مراتب هي :

المرتبة الأولى : محاولة إيقاع العبد ، ذكراً كان أو أنثى ، في الكفر والشرك، ومعاداة الله ورسوله، وموالاة أعدائه، ومعاداة أوليائه، فإذا ظفر الشيطان بذلك من الإنسان بَرَدَ أنينه ، واستراح من تعبه معه، وهو أوّل ما يريد من العبد، فإن ظفر به، صيّره من عسكره ونوّابه، فصار من دعَاة إبليس، فإن يئس من ذلك، انتقل به إلى المرتبة التي تليها.

المرتبة الثانية : محاولة إيقاع العبد، ذكراً كان أو أنثى، في البدعة، لأنّها أحب إليه من الفسوق والعصيان، وذلك أن ضررها في نفس الدِّين هو ضرر متعدٍّ، وهي مخالفة لدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن كان العبد يقظاً، حريصاً على اتباع السنة محباً لها، معادياً لأهل البدع والضلال، انتقل به إلى المرتبة الثالثة .

المرتبة الثالثة : محاولة إيقاع العبد ، ذكراً كان أو أنثى، في الكبائر على اختلاف أنواعها وأصنافها، فيحرص أن يوقعه فيها، خاصة إذا كان العبد، عالما

متبوعا، لينفّر الناس عنه، فإن عجز عن هذه، ولم يظفر بها من العبد، انتقل به إلى مرتبة أخرى.

المرتبة الرابعة: محاولة إيقاع العبد، ذكراً كان أو أنثى، في الصغائر التي إذا اجتمعت على العبد ربَّما أهلكته، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: {إياكم ومحقرات الذنوب، كقوم نزلوا في بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه} [1] ولا يزال الشيطان يسهِّل عليه أمر الصغائر حتى يستهين بها، فيكون صاحب الكبيرة الخائف أحسن حالاً منه، فإن أعجزه العبد عن هذه، نقله للتي تليها.

المرتبة الخامسة : محاولة إشغال العبد ، ذكراً كان أو أنثى، بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، بل عاقبتها فوات الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله بها، فإن أعجزه العبد عن هذه المرتبة بأن كان محافظاً لوقته، شحيحاً به ، يعلم مقدار أنفاسه وانقطاعها وما يقابلها من النعيم والعذاب، نقله للتي بعدها.

[1] الحديث في مسند أحمد (٣٣١/٥) وهو حديث صحيح ، أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح (٣٨٩).

المرتبة السادسة : محاولة إشغال العبد، ذكراً كان أو أنثى، بالعمل المفضول عن الفاضل، ليزيح عنه الفضيلة، ويفوّته ثواب العمل الفاضل، ويفتح له أبواب خير كثيرة كما ورد أنه يأمر بسبعين باباً من أبواب الخير، إما ليتوصَّل إلى باب واحد من الشر وإما ليفوّت بها خيراً أعظم من تلك السبعين باباً وأجل وأفضل.

وهذا أمر لا يتوصَّل إلى معرفته، إلا بنورٍ من الله، يقذفه في قلب العبد، يكون سببه تجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند الله وأحبها إليه، وأرضاها له، وأنفعها للعبد، وأعمها نصيحةً لله ولرسوله ولكتابه ولعباده المؤمنين خاصتهم وعامتهم، وهذا لا يعرفه إلا من كان من ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونوّابه في الأمّة، وخلفائه في الأرض، والله يمن بفضله على من يشاء من عباده.

فإذا عجز الشيطان من إيقاع المكلّف فيما سبق من المراتب الست، انتقل إلى مرتبة الخسة والدناءة وهي المرتبة الأخيرة.

المرتبة السابعة : تسليطه حزبه من الإنس والجن على المكلّف ، بأنواع الأذى والتكفير والتضليل والتبديع

والتحذير منه، وقصد إخماله وإطفائه، ليشوش عليه قلبه، ويمنع الناس من الانتفاع به، فيبقى سعيه في تسليط المبطلين من شياطين الإنس والجن عليه لا يفتر ولا يني، فحينئذٍ يلبس المؤمن والمؤمنة، لأمة الحرب، ولا يضعانها عنهما إلى الموت، ومتى وضعاها، أُسرا أو أُصيبا، فلا يزالان في جهاد حتى يلقيا الله تعالى، فتأمّل هذا وتدبّر عظيم منفعته، واجعله ميزانك، تزن به الناس وتزن به الأعمال، فإنه يطلعك على حقائق الوجود، ومراتب الخلق[1].

هكذا عداوة الشيطان وكيده لبني الإنسان، رجالاً ونساءً، ابتداءً من أبينا آدم عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة، فلابد من الحذر التام، واليقظة القوية من مكائده وخطوا ته، والصبر والمصابرة على الاستقامة والالتزام بالمنهج الرباني، والثبات على ذلك، فمن وفق لما سبق، فاز فوزاً عظيماً .

ولأجل خطورة كيد الشيطان ومكره، وشدة خديعته، بيّن لنا النبي الكريم ــ نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ــ طرفاً من مراتب الشيطان، ومحاولاته في إضلال بني آدم ، وبين الموقف الصحيح الذي يجب أن يتخذه الآدمي مع عداوة الشيطان وكيده فقال صلى الله عليه وسلم : { إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام فقال له : أتسلم، وتذر دينك، ودين آبائك، وآباء أبيك ؟ قال : فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك ؟ وإنّما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطِّول قال : فعصاه فهاجر، قال: ثم قعد له بطريق الجهاد فقال : هو جَهْد النَّفس والمال، فتقاتل فتُقتل، فتُنكح المرأة ويُقسم المال، قال : فعصاه فجاهد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فعل ذلك منهم، فمات كان حقاً على الله عز وجل أن يدخله الجنة، ومن قُتِل ، كان حقاً على الله عز وجل أن يدخله الجنة، وإن غرق، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، أو قصعته دابّة ، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة } [1].

* * *

[1] انظر بدائع الفوائد (٢/٢٦٠-٢٦٢).

[1] رواه النسائي في المجتبى (٦/٢١-٢٢) الطبعة التجارية ، ورواه الإمام أحمد في مسنده (٣/٤٨٣) الطبعة الحلبية، وإسناده قوي ، انظر الموسوعة الحديثية، مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٥/٣١٦). حديث رقم (١٩٥٨).

المبحث السادس
الفوائد والعبر من عداوة الشيطان لبني الإنسان

١ــ في قصة عداوة الشيطان لآدم وبنيه، دلالة تحدّد مبدأ البشر ومنتهاهم، ودورهم في الأرض، وخطّة سيرهم فيها، والعقبات التي تقابلهم في أثناء رحلتهم، وطريقة تجنب هذه العقبات.

٢ــ الوقوف على حقيقة أبي البشر آدم عليه الصلاة والسلام، وأنه قد خلق من جزئين هما : قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله تعالى، والتي تؤكد لنا استحالة فصل الجزء المادي في حياة بني الإنسان عن الجزء الروحي فيه لارتباطهما وتلاحمهما، " ومن ثم فكل نظام أو فكرة أو تصوّر، يتصوّر الإنسان مادةً فحسب، أو روحاً فحسب، فهو مخطئ من حيث أهمل الجانب الآخر في كيان الإنسان، ويسري الخطأ في كل خطوطه وتخطيطاته، سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم فكرية أم تربوية أم علمية أم فنية ، لأنها من البداية تقوم على أساس تصوّر خاطئ لحقيقة الإنسان " [1].

٣ــ الإنسان في هذه الأرض له طريقان يوصلانه إلى الآخرة، لا ثالث لهما، طريق الخير الذي عن طريقه فقط يصل إلى الجنة وإلى رضوان الله تعالى، والنجاة من غضبه وناره، وطريق الشر الذي عن طريقه يصل إلى نار تلظّى، وإلى سخط الله وغضبه، قال الله تعالى: (وهديناه النجدين)[2]، وأعطى الله تعالى الإنسان القدرة على اختيار أحد الطريقين ، بعد أن أبانهما، ومن ثمّ يتحمل نتيجة إرادته واختياره.

٤ــ الأصل في أعمال بني الإنسان، أنها مرتبطة بالأخلاق ارتباطاً وثيقاً لا ينفصل عنها لأن الإنسان له طريقان لا طريقا واحداً ، وله القدرة على اختيار أحدهما، كما سبق آنفا، ومن هنا فقد تحدّدت الدّلالة الخلقية المصاحبة لكل عمل يقوم به الإنسان، من حيث إنه إما حسن، وإما قبيح، وإما صواب وإما خطأ، أو هذا عمل رفيع، وذاك دنيء .

ولذا " فأى محاولة لفصل أعمال الإنسان عن دلالتها الخلقية، أو الزّعم بأن السياسة لا علاقة لها بالأخلاق، أو الاقتصاد لا علاقة له بالأخلاق، أو أن علاقة الجنسين لا علاقة لها بالأخلاق، أو أن الفن لا علاقة له بالأخلاق، كلّها محاولات خاطئة، وتصوّرات باطلة ...

[1] دراسات قرآنية، ص (١٢٦).

[2] سورة البلد آية (١٠).

ومن ثم فإن كل محاولات علم النفس التحليلي ، لتبرير الجريمة ــ بصرف النظر عما وراءها من تخطيط شرّير ــ فهي قائمة كلها على أساس تصوّر ــ أو تصوير ــ خاطئ للنفس الإنسانية، يلغي الإرادة الضابطة التي تختار طريقاً من الطريقين، ويسد طريق الخير كله، طريق الله، ولا يدع إلا طريقاً واحداً وهو طريق الشيطان" [١].

٥ــ إن المتأمل والمتدبر في المعصية التي وقع فيها أبونا آدم عليه الصلاة والسلام، والمعصية التي وقع فيها عدُونا اللعين الشيطان الرجيم، يجد فرقاً شاسعاً بين المعصيتين فمعصية أبينا آدم، معصية شهوة، أعمت بصيرته لحظة، فوقع فيما نهاه الله عنه، ثم أفاق من قريب، وهكذا معصية أهل الإيمان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾[٢] وقال الله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ {٣٧}﴾ [٣] وحكى الله تعالى عن آدم وحواء قولهما بعد الخطيئة التي ارتكباها: ﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ {٢٣}﴾ [٤] وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ{١٣٥}﴾ [٥].

فواضح أن سبب فعل الفاحشة وظلم النفس بارتكاب المعصية، بسبب غفلة طارئة عن الله تعالى، أعمت البصيرة، فحدث ما حدث، ثم تذكروا ربهم، فبادروا إلى نظافة أنفسهم من تلك المعاصي، وذلك برجوعهم وأوبتهم إلى الله تعالى. وأما معصية الشيطان الرجيم، فكانت استكباراً عن طاعة الله تعالى، وتمرداً على أمره والجرأة في إبداء وجهة النظر المخالفة لأمر الله تعالى، فكانت هذه المعصية كفراً وخروجاً من دين الله تعالى[٦] قال الله تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين)[٧].

---

(١) دراسات قرآنية ص (٢٧).

(٢) سورة النساء آية (١٧).

(٣) سورة البقرة آية (٣٧).

(٤) سورة الأعراف آية (٢٣).

(٥) سورة آل عمران آية (١٣٥).

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩٥/١).

(٧) سورة البقرة آية (٣٤).

٦ــ إن الخطيئة في التصوّر الإسلامي فردية، وكذا التوبة " في تصوّر واضح بسيط لا تعقيد فيه ولا غموض ... ليست هناك خطيئة مفروضة على الإنسان قبل مولده ــ كما تقول نظرية الكنيسة ــ وليس هناك تكفير لاهوتي ــ كالذي تقول الكنيسة : إنّ عيسى عليه الصلاة والسلام (ابن الله بزعمهم) قام بصلبه، تخليصاً لبني آدم من خطيئة آدم ــ كلا .. فخطيئة آدم كانت خطيئته الشخصية، والخلاص منها كان بالتوبة المباشرة، في يسر وبساطة، وخطيئة كل ولد من أولاده، خطيئةٌ ــ كذلك ــ شخصية ، والطريق مفتوح للتوبة في يسر وبساطة ... تصوّر مريح صريح، يحمّل كلّ إنسان وزره ويوحي إلى كلّ إنسان بالجهد والمحاولة وعدم اليأس والقنوط (إن الله تواب رحيم) "[١].

٧ ــ " في أحداث المعركة التي تصوّرها القصة بين الإنسان والشيطان، مُذكّرٌ دائمٌ بطبيعة المعركة، إنها بين عهد الله وغواية الشيطان، بين الإيمان والكفر، بين الحق والباطل، بين الهدى والضلال ... والإنسان هو نفسه ميدان المعركة، هو نفسه الكاسب أو الخاسر فيها، وفي هذا إيحاءٌ دائم له باليقظة، وتوجيه دائم له بأنه جندي في ميدان وأنه هو صاحب الغنيمة أو السلب في هذا الميدان "[٢].

٨ــ إن الإرادة في الإنسان، لها شأن عظيم في الإسلام، لأنها مكمن العهد مع الله تعالى وهي مكمن التكليف والجزاء، فالإنسان بها "يملك الارتفاع على مقام الملائكة، بحفظ عهده مع ربه، عن طريق تحكيم إرادته، وعدم الخضوع لشهواته، والاستعلاء على الغواية التي توجّه إليه، بينما يملك أن يُشقي نفسه ويهبط من عليائه، بتغليب الشهوة على الإرادة، والغواية على الهداية، ونسيان العهد الذي يرفعه إلى مولاه، وفي هذا مظهر من مظاهر التكريم لا شك فيه، يضاف إلى عناصر التكريم الأخرى، كما أن فيه تذكيراً دائماً بمفرق الطرق بين السعادة والشقاوة، والرِّفعة والهبوط، ومقام الإنسان المريد ودرك الحيوان المسوق"[٣].

٩ــ إن ما منع شرعاً في كتاب الله تعالى وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن الشيطان يستغله ويستعمله في تحويله إلى شهوة يتسلل بها إلى إغواء بني الإنسان قال الله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ

---

(١) في ظلال القرآن (٦١/١).

(٢) المرجع السابق (٦١/١).

(٣) في ظلال القرآن (٦١/١).

أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ {٣٥}﴾[1] وقال الله تعالى حكاية عن الشيطان قوله: ﴿ وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً {١١٩} يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً {١٢٠} أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً {١٢١}﴾[2].

١٠ــ إن الله تعالى خلق آدم ــ عليه السلام ــ منذ اللحظة الأولى ليكون خليفة في الأرض كما أخبر سبحانه بقوله: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) فاقتضى أمر الله ــ سبحانه ــ إسكانه الجنة أولاً ، وتحريم تلك الشجرة عليه، ثم إهباطه إلى الأرض إعداداً وتربيةً له بتلك التجربة مع عدوّه إبليس، لتكون " إيقاظاً للقوى المذخورة في كيانه، وتدريباً له على تلقّي الغواية، وتذوّق العاقبة،وتجرّع الندامة ومعرفة العدوّ والالتجاء بعد ذلك إلى الملاذ الأمين"[3].

١١ــ لقد استفاد أهل الإيمان والتقى من هذه العداوة بين الشيطان وبني الإنسان استفادة دنيوية وأخروية، وذلك بمجاهدتهم عدوّ الله وحزبه، ويقظتهم في مخالفته ومراغمته في الله تعالى، والسعي في إغاظته وإغاظة حزبه وأوليائه، واللجوء إلى الله تعالى بالاستعاذة من كيده وخطواته ومكره وحقده[4].

١٢ــ في معصية الشيطان لربه عبرةٌ لكل من خالف أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، وتكبّر عن طاعتهما، وأصرّ على معصيتهما، كما أن في معصية آدم عليه السلام لربه عبرةً لمن ارتكب نهيه أو عصى أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم تاب وندم ورجع إلى الله تعالى، فإن الله تعالى يقبل توبته، ويمحو حوبته، ويغفر خطيئته[5].

١٣ــ هذه العداوة امتحان وابتلاء من الله تعالى لبني الإنسان، لبيان الخبيث من الطيب، " فإنه سبحانه خلق النوع الإنساني من الأرض، وفيها السهل والحزن والطيب والخبيث، فلابد أن يظهر فيهم ما كان في مادتهم، كما في الحديث الذي رواه الترمذي مرفوعا: {أن الله

[1] سورة البقرة آية (٣٥).

[2] سورة النساء آية (١١٩-١٢١).

[3] في ظلال القرآن (٥٩/١).

[4] نظر شفاء العليل لابن القيم الجوزية ص(٢٣٦).

[5] انظر المرجع السابق ص(٢٣٧).

خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على مثل ذلك منهم الطيب والخبيث والسهل والحزن، وغير ذلك}[1] فما كان في المادة الأصلية، فهو كائن في المخلوق منها، فاقتضت الحكمة الإلهية، إخراجه وظهوره فلابد إذاً من سبب يظهر ذلك، وكان إبليس محكا يميز به الطيب من الخبيث، كما جعل أنبيائه ورسله محكا لذلك التمييز، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾[2] فأرسل رسله إلى المكلفين، وفيهم الطيب والخبيث فانضاف الطيب إلى الطيب، والخبيث إلى الخبيث، واقتضت حكمته البالغة أن خلطهم في دار الامتحان ، فإذا صاروا إلى دار القرار يميز بينهم، وجعل لهؤلاء داراً على حدة، ولهؤلاء داراً على حدة، حكمة بالغة، وقدرة قاهرة "[3].

١٤ــ في خلق الله تعالى للملائكة، وإبليس وذريته، وآدم وبنيه ، إظهار لكمال قدرته سبحانه، ومشيئته وسلطانه، " فإنه خالق الأضداد، كالسماء والأرض، والضياء والظلام، والجنة والنار، والماء والنار، والحر والبر، والطيب والخبيث، وأن خلق أحد الضدين من كمال حسن ضده، فإن الضد إنما يظهر حسنه بضده، فلولا القبيح، لم تعرف فضيلة الجميل، ولولا الفقر لم يعرف قدر الغني "[4].

١٥ــ الله عز وجل يحب من عباده وأوليائه أن يشكروه، بحقيقة الشكر وأنواعه "ولا ريب أن أولياءه نالوا بوجود عدو الله إبليس وجنوده، وامتحانهم به، من أنواع شكره ما لم يكن ليحصل لهم بدونه، فكم بين شكر آدم وهو في الجنة قبل أن يخرج منها وبين شكره بعد أن ابتلي بعدوّه ثم اجتباه ربه وتاب عليه وقبله "[5].

١٦ــ " إن المحبة والإنابة والتوكل والصبر والرضا ونحوها، أحب العبودية إلى الله سبحانه، وهذه العبودية إنما تتحقق بالجهاد وبذل النفس لله، وتقديم محبته على كل ما سواه، فالجهاد ذروة سنام العبودية وأحبها إلى الرب سبحانه، فكان في خلق إبليس وحزبه، قيام سوق هذه

[1] رواه الترمذي في كتاب التفسير ، حديث رقم (٢٩٤٨) وقال حسن صحيح ، ورواه أبو داود في سننه حديث رقم (٤٦٩٣).

[2] سورة آل عمران آية (١٧٩).

[3] شفاء العليل ص(٢٣٧).

[4] المرجع السابق ص(٢٣٧).

[5] المرجع السابق ص(٢٣٧).

العبودية وتوابعها التي لا يحصي حكَمَها وفوائدها وما فيها من المصالح إلا الله"[١].

١٧ــ" أن المادة النارية فيها الإحراق والعلو والفساد، وفيها الإشراق والإضاءة والنور، فأخرج منها سبحانه هذا وهذا، كما أن المادة الترابية الأرضية فيها الطيب والخبيث والسهل والحزن، والأحمر والأسود والأبيض، فأخرج منها ذلك كله، حكمة بالغة وقدرة قاهرة، وآية دالة على أنه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)"[٢].

١٨ــ كل سبيل غير سبل الله فهو من سبل الشيطان، لحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: {خط خطاً بيده، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيما، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[٣]}[٤].

١٩ــ جعل الله تعالى ضمانة السلامة من كيد الشيطان، اتباع شرع الله وطاعته، وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وإنما يُضِلُّ الشيطان من أعرض عن ذكر الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {٣٨} وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {٣٩}﴾[٣].

٢٠ــ من رحمة الله تعالى أن فتح لمن عصاه باب التوبة، يتوب العاصي من الذنب فيتوب الله عليه، بل قد تكون هذه المعصية خيراً له حيث يُظْهِر من التوبة والندم والذل والافتقار والانكسار وصدق اللجوء إلى الله، ودوام التضرع والدعاء والإكثار من الحسنات، ما تكون تلك السيئة سبب رحمته[٥].

٢١ــ الشيطان عليه لعنة الله، يدعو الناس إلى اتباعه وطاعته ومعصية الله تعالى ويزيّن ذلك لبني الإنسان، ولكنه بعد إيقاعه في المعصية، يتبرأ منه في الدنيا

(١) المرجع السابق ص(٢٣٧).
(٢) المرجع السابق ص(٢٣٨).
(٣) سورة الأنعام آية (١٥٣).
(٤) رواه أحمد في مسنده (٤٣٥/١) طبعة الحلبي، حديث رقم (٤١٤٢) طبعة المعارف.
(٣) سورة البقرة آية (٣٨-٣٩).
(٥) الوابل الصيب ص(٢٠).

والآخرة أما تبرُّؤه من تزيينه للإنسان في الدنيا يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ {٤٨}﴾[١].

وأما تبرُّؤه في الآخرة فيدل عليه قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {٢٢}﴾[٢].

* * *

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .. **أما بعد** ..

فبعد هذه الجولة في دراسة عداوة الشيطان لبني الإنسان أذكر، إتماماً للفائدة النتائج التالية :

١ــ الله عز وجل خلق الخير والشر، وجعلهما أمرين متضادين [illegible] أن خلق البشر واستخلفهم في هذه الأرض، ابتلاء واختبارا وامتحانا، لكي يتميز المحسن منهم من المسيء، والمحق منهم من المبطل، والصالح من الطالح، قال الله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ {٣٥}﴾[٣].

٢ــ من رحمة الله تعالى على عباده، أنه لم يتركهم وحدهم في معترك الحياة الدنيا تتقاذفهم تيارات الشر والخير، وتتناوشهم عوامل الرذيلة والفضيلة، وإنما تعهد لهم أن يترل لهم الكتب وأن يرسل لهم الرسل، لكي يبينوا لهم طريق الخير من طريق الشر ويرسموا لهم سبل الرشاد

(١) سورة الأنفال آية (٤٨).
(٢) سورة إبراهيم آية (٢٢).
(٣) سورة الأنبياء آية (٣٥).

والهداية التي ينبغي عليهم أن يسلكوها فيسعدوا، ويُحذرهم من سبل الفساد والغواية التي يجب عليهم أن يبتعدوا عنها ويتجنبوها حتى يسلموا من الضلال والشقاء، فأرسل رسله تترى في كل عصر ومصر على امتداد التاريخ البشري منذ آدم عليه الصلاة والسلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ {٤٤}﴾[1]، ثم جعل سبحانه وتعالى إرث هذا النبي الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر، ومن ثم أنيط البيان والإرشاد والدعوة بالعلماء إلى قيام الساعة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله}[2].

٣ـ الله تعالى منح بني الإنسان نعمة العقل والتمييز، وفطرهم على حب الخير وكراهية الشر، وأعطاهم من القوى ما يستطيعون به أن يقوموا بواجباتهم ومسؤولياتهم في هذه الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ {٦٠} وَأَنْ اعْبُدُونِي هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ {٦١} وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ {٦٢}﴾[3].

٤ـ الشر موجود بوجود إبليس عليه لعنة الله، فهو الذي يغوس الشر ويثيره، ويحارب به الخير، ويحاول إطفاء نوره، وهو مستمر على ذلك إلى قيام الساعة لا يكلّ ولا يملّ قال الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {٧٩} قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ {٨٠} إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ {٨١} قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {٨٢}﴾[4] فعُلم من هذا أن الله تعالى ما أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما أنزل الكتب لكي يقطعوا جذور الشر من الأرض ويقتلعوا بذرته من الدنيا ـ فليس هذا هو الهدف من إرسال الرسل، وهو العليم

(١) سورة المؤمنون آية (٤٤).

(٢) رواه مسلم كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين) حديث رقم (١٩٢٠).

(٣) سورة يس آية (٦٠-٦٢).

(٤) سورة ص الآيات (٧٩-٨٢).

سبحانه بما يفعل ويريد ـ وإنما الهدف تضييق دائرة الشر وتوسيع دائرة الخيرة والصلاح.

٥ـ الشيطان عليه لعنة الله، لا يجد لمكْره نجاحاً، ولا لوسوسته سبيلاً إلى نفس بني الإنسان إلا عندما ينسى الإنسان أمر ربه، ويعصي أوامر خالقه سبحانه، فعندها تنطمس معالم الفطرة السليمة بداخله، وتنقطع صلته بوحي الله تعالى، فيقع في شراك الشيطان وحبائله. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ {٩٩} إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ {١٠٠}﴾[1] وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {٤٢}﴾[2].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

(١) سورة النحل آية (٩٩-١٠٠).

(٢) سورة الحجر آية (٤٢).

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء.

٣ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم، طبعة مكتبة الرياض الحديثة.

٤ـ آكام المرجان في أحكام الجان للقاضي بدر الدين عبد الله الشبلي، تحقيق إبراهيم محمد الجمل، طبعة مكتبة القرآن.

٥ـ بدائع الفوائد لابن القيم.

٦ـ البداية والنهاية للحافظ ابن كثير.

٧ـ تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، طبعة الدار التونسية للنشر.

٨ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار المعرفة ـ بيروت.

٩ـ تلبيس إبليس لابن الجوزي، دار الكتب العلمية.

١٠ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر.

١١ــ دراسات قرآنية للأستاذ/ محمد قطب.

١٢ــ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ، طبعة الدار السلفية.

١٣ــ سنن أبي داود.

١٤ــ سنن الترمذي.

١٥ــ سنن النسائي.

١٦ــ شرح النووي على صحيح مسلم، طبعة دار عالم الكتب.

١٧ــ شفاء العليل لابن القيم، طبعة مكتبة السوادي.

١٨ــ صحيح الجامع للألباني، طبعة المكتب الإسلامي.

١٩ــ صحيح مسلم، دار إحياء التراث.

٢٠ــ فتح القدير مختصر تفسير ابن كثير للقاضي الكنعاني، طبعة دار لبنان.

٢١ــ الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، طبعة شركات عكاظ.

٢٢ــ في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب، دار الشروق.

٢٣ــ لسان العرب لابن منظور ، طبعة دار الفكر.

٢٤ــ مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية.

٢٥ــ مسند الإمام أحمد، الطبعة الحلبية وطبعة دار المعارف.

٢٦ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

٢٧ــ الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد، طبعة مؤسسة الرسالة.

٢٨ــ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم.

٢٩ــ الوابل الصيب لابن القيم.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٢٥٥
المبحث الأول : التعريف بالشيطان وسبب تسميته بذلك.	١٢٥٨
المبحث الثاني : أصل إبليس وحقيقته.	١٢٦٠
المبحث الثالث : عمق عداوة الشيطان للإنسان.	١٢٦٥
المبحث الرابع : حقيقة الصراع بين إبليس وبين بني الإنسان.	١٢٧٣
المبحث الخامس : مراتب عداوة الشيطان لبني الإنسان.	١٢٧٨
المبحث السادس : الفوائد والعبر من عداوة الشيطان لبني الإنسان.	١٢٨١
الخاتمة	١٢٨٧
المصادر والمراجع	١٢٨٩
الفهرس	١٢٨٩